

التربية على الصبر

للشيخ: عبد الله بن سليمان آل مهنا

**الحمدُ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليماً كثيراً؛ أمَّا بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَديِ هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ في الدينِ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.**

**أمَّا بَعدُ فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، اتَّقوا اللهَ تعالى حقَّ التقوى، اتقوهُ تعالى في السرِّ والنَّجوى، فإنَّه جلَّ شأنُه يعلَمُ السرَّ وأخفى.**

**أيُّها المسلمون: جَبلَ اللهُ تعالى هذه الدُّنيا على الكَدَرِ والنَّصَب، وعلى الألمِ والتَّعب؛ ذلكم أنَّه تعالى لم يَشأ أن يجعلَها مستقراً وراحةً لأوليائِه، بل سُلَّماً وجِسراً وراحلةً إلى رحمتِه وجناتِه، فهي دارٌ يسعدُ فيها الإنسانُ أحياناً ويَشقَى، ويُسرُّ أحياناً ويحزنُ أُخرى، تُضحِكُ وتُبكِي، وتُفرِحُ وتُحزِن.**

**جُبِلَت على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها.. صَفواً من الأقذاءِ والأَكدَارِ**

**لو كانت تدومُ على السعادةِ لدامَت لأشرفِ الخَلِيقةِ، محمدٍ صلى الله عليه وسلم، لا يَطمئنُ إليها ويَرضَى بها إلا من قلَّ علمُهُ بها، أو من لم يَتَبصَّر في سُنَنِ الله وأيَّامِهِ في أهلِها، مهمَا بَلَغَ الإنسانُ فيها من السعادةِ والراحةِ فإنَّ عواقِبَها إلى كُلفةٍ وشَقاوةٍ. يقولُ أعلَمُ الخلقِ بها صلى الله عليه وسلم:( ما لِي وللدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلا كراكبٍ قالَ في ظِلِّ شجرةٍ ثم راحَ وترَكَها). وقال تعالى حاكِيَاً قولَ الرَّجلِ الصالِحِ لقومِه:( يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ).**

**أيُّها المسلمون: ينبغِى أن يُوطِّنَ الإنسانُ نفسَه على تحمُّلِ أحداثِ هذه الدُّنيا ونكباتِها، فهيَ لا تُؤمَنُ في حالٍ من الأحوالِ، ولا في زمنٍ من الأزمان؛ وقد وَجَّهَ ربُّنا عزَّ وجل عبادَه المؤمنين إلى كيفيةِ التَّعامُلِ مع مصائبِ الدنيا ونَكَباتِها، وأرشدَ إلى ما يثبِّتُ أفئدةَ المؤمنينَ عندِ حلولِ المصائبِ والأقدارِ المؤلِمة.**

**إن ممَّا يُثبِّتُ قلوبَ أهلِ الإيمانِ عندَ حُلولِ المصائبِ والنَّكَباتِ: الإيمانَ بالقدَرِ خَيرِه وشَرِّه حُلوِه ومُرِّه من الله، فهوَ رُكنٌ رَكينٌ من أركانِ الإيمانِ لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلا بالإيمانِ به. قال صلى الله عليه وسلم:( الإيمانُ أن تُؤمِنَ باللهِ وملائِكتِه وكُتبِه ورُسلِه واليومِ الآخرِ وتؤمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه). فإذا آمنَ المؤمنُ بأنَّ ما يَقعُ عليهِ من مصائبِ الدُّنيا هوَ من قدرِ الله الذي قدَّرهُ الله تعالى قبلَ أن يَخلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ هانت عليهِ المُصيبةُ، لأنَّه يعلَمُ أنَّه لا وَزَرَ منها ولا مَفرّ، ثم يعلمُ كذلكَ أنَّ الذي أوقعها عليهِ ربٌ رحيم أرحمُ بعبادِه من الأمِّ بولدِها، فهيَ في ظاهرِها ألمٌ ومُصيبة وفي باطِنِها رحمةٌ وعَطيَّة.**

**وممَّا يثبِّتُ قلبَ المؤمنِ عند حُلولِ المصائبِ والنَّكباتِ: أن يُوطِّنَ نفسَهُ على الاحتسابِ والصَّبرِ على تلكَ الأقدارِ، لينالَ الأجرَ وتُحطَّ عنه الأوزار، فإنَّه تعالى يَبتَلي عبدَهُ بالمصائبِ لحِكَمٍ عديدةٍ منها: كثرةُ ذُنوبِه فلا يُوفَّقُ العبدُ لاستغفارٍ وتوبةٍ، ولكنَّ الله يُوقِعُ عليهِ من المصائِبِ ما يَحطُّ عنهُ تلك الذنوب، ولرُبَّما كان العبدُ على جانبٍ من الخيرِ ولكنَّه لم يصِل إليهِ بكثرَةِ عبادةٍ وبرّ، فيرفَعُ اللهُ درجاتِه في الجنَّةِ بكثرةِ ما يُصابُ بهِ من أمراضٍ وآلامٍ وأحزانٍ وهمومٍ.**

**أيُّها المسلمون: إنَّ على المؤمنِ أن يَتعلَّمَ في حالِ الرَّخاءِ، ويُوطِّنَ نفسَه على الصبرِعندَ البلاءِ، فلَرُبَّما تُلجِمُكَ المُصيبةُ عن عملِ ما يُرضي اللهَ تعالى فيها. مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأةٍ تَبكِي وَلدَاً لها عندَ قبرِهِ فقال لها:( اتَّقِي اللهَ واصبِرِي) قالت: إليك عني فإنَّكَ لم تُصَب بمُصيبَتي، فلما ذَهَبَ صلى الله عليه وسلم قِيلَ لها: تعرِفِين هذا؟ قالت: لا، قالوا: هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت إليه تعتذرُ وتقول: لم أعرِفك يا رسولَ الله، فقال لها صلى الله عليه وسلم:( إنَّما الصَّبرُ عندَ الصدمَةِ الأُولى). نعم، إنَّ المؤمنَ من هولِ المصيبةِ في ولدِهِ أو مالِه أو نفسِه ليُعجَمُ على لسانِهِ أو يُغلَقُ على عقلِهِ، فعليهِ في حالِ الرَّخاءِ والأمنِ أن يَتعلَّمَ ويَتحفَّظَ ما يقولُهُ عند حُلولِ المُصيبةِ؛ ومِن ذلكَ أن يقولَ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون، الحمدُ لله، لا حولَ ولا قُوةَ إلا بالله. يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم :( إذا قَبضَ اللهُ ولدَ عبدِه قالَ لملائِكتِه: قبضتُم ولدَ عبدِي؟ فيقولُون: نعم، فيقولُ اللهُ: قَبضتُم ثمرةَ فُؤادِهِ؟ فيقولون: نعم، فيقولُ اللهُ\_ وهُوَ أعلَم\_: ماذا قالَ عبدِي؟ فتقولُ الملائكةُ : حَمِدكَ واستَرجَع، فيقولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لعبدِي بيتاً في الجنةِ وسَمُّوهُ بيتَ الحمد).**

**إنَّ على المؤمنِ في حالِ حُدوثِ المُصِيبةِ في مالِه أن يُحسِنَ الظنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ، فلّرُبَّما أذهبَ اللهُ تعالى من مالِكَ ما كانَ دَخَل عليكَ من وجهٍ مُحرَّمٍ، أو نحواً من ذلِكَ؛ فَلِمَحبَّةِ اللهِ لك لم يَشَأ تعالى أن يُدخِلَ جوفَكَ أو تنتَفِعَ بهذا المالِ الذي مَن انتَفَعَ بهِ أو أكلَهُ استوجَبَ عُقوبةً مَن اللهَ تعالى.**

**أيُّها المُسلمون: إنَّ كَثرَةَ العملِ الصالحِ في حالِ الأمنِ والرَّخاءِ سببٌ عظيمٌ في تثبِيتِ اللهِ تعالى للعبدِ في حالِ المصائِبِ والأزمات. قالَ اللهُ تعالى:( وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال عَلقَمةُ: هو الرَّجُلُ تُصيبُه المصيبَةُ فيعلمُ أنَّها من عندِ اللهِ فيَرضَى ويُسلِّم. ومعنى ذلك أنَّ العبدَ كُلَّمَا آمنَ باللهِ، وأتبَعَ ذلكَ بالعملِ الصالحِ، كانَ من ثمراتِ هذا الإيمانِ هِدايةُ القلبِ وثباتُه، وانشراحُ صدرِ صاحبِه في حالِ الأزماتِ والمُلمَّات؛ وبالمُقابِلِ فإنَّ من أعرَضَ عن اللهِ في الرَّخاءِ لم يَجِد في حالِ المصائِبِ عُدَّةً من الإيمانِ، يَطمَئنُ بها قلبُهُ، وينشرِحُ بها صدرُه. قال صلى الله عليه وسلم لابنِ عباس:( تَعرَّف على اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفكَ في الشدَّة). وقالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: صنائِعُ المعروفِ تَقِي مصارِعَ السُّوءِ، والهلَكَةِ.**

**فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، واستَعدُّوا لأقدارِ اللهِ المُؤلِمةِ بالإيمانِ والصبرِ والاحتِساب.**

**نفعَنِي اللهُ وإيَّاكم بهَديِ كتابِه، وبسنةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم. أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكُم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفرُوهُ إنَّه هُوَ الغفورُ الرحيم.**

**الخطبة الثانية**

**الحمدُ للهِ، حمداً كثيراً طيباً مُبارَكاً فيهِ، كمَا يُحبُّ ربُّنا ويَرضَى؛ وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه، وعلى آلهِ، وأصحابِهِ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.**

**أمَّا بعدُ فإنَّ الصبرَ من الدينِ بمنزِلَةِ الرأسِ من الجَسد، واللهُ تعالى يُحبُّ الصابرينَ ويُسدِّدُهم ويُصبِّرُهم، فعلى المؤمِن أن يُوَطِّنَ نفسَه ويُدرِّبَها على الصبرِ قبلَ أن يَفجَأَه قدرٌ مؤلمٌ من اللهِ، وليستَعن باللهِ تعالى على الصبرِ (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ).**

**ألَا وإنَّ الابتلاءَ بالأقدارِ المؤلِمةِ يَكثُرُ في الصالِحينَ من هذهِ الأُمَّةِ، كما قال صلى الله عليه وسلم:( أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الصالحونَ ثمَّ الأمثلُ فالأمثل، يُبتَلَى المرءُ على قدرِ دينِهِ فإن كانَ في دينِهِ صلابَةٌ زيدَ في بلائِه).**

**ألَا وصلُّوا وسلِّمُوا على المبعوثِ بالهُدَى والنُّور:( إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).**

 **اللَّهُم صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك محمد، وارضَ اللَّهم عن الأربعة الخُلَفَا، الأئمةِ الحُنَفَا، أبي بكرٍ وعمرَ وعُثمان وعلي، وعن سائرِ أصحابِ نبيِّك أجمعين، وعن التَّابعينَ، ومن تَبِعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين. اللَّهم أعزَّ الإسلامَ والمُسلمين، اللَّهم أعزَّ الإسلامَ والمُسلمين، وأذِلَّ الشِّركَ والمشركين والمُنافقين، ودمِّر أعداءَ الدِّين، اللَّهم عليكَ بالرَّافضةِ والنُّصَيرِيين، اللَّهم عليك بالرَّافضةِ والنُّصيريين، اللَّهم أحصِهِم عدَدَاً، واقتُلهُم بَدَداً، ولا تُغادِر منهُم أحداً. اللَّهم ارحَم المُستضعَفين من المسلمين في كلِّ مكان، اللَّهُم وارحَم إخوانَنَا المُستضعَفِين في الشَّام، اللَّهُم اجعل لهُم فَرجاً ومَخرَجاً. اللَّهُم وأبرِم لهذِهِ الأُمَّةِ أمرَ رُشدٍ يُعزُّ فيهِ أهلُ طاعتكَ، ويُذلُّ فيه أهلُ معصِيَتك، ويُؤمرُ فيهِ بالمعروفِ، ويُنهَي فيهِ عن المُنكَرِ يا سَميعَ الدُّعاء.**

**سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفُون، وسلامٌ على المُرسلين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.**